مُقَدِّمَة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾.

[آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

[النساء : ١] .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

فقد دعت الشرائع السماوية السابقة إلى السماحة وحثت عليها،وكانت الشريعة المحمدية خير هذه الشرائع ، حيث تجلّت السماحة في كل أوامرها، دقيقها وجليلها.

فجميع الشرائع السماوية تحذر وتنهى عن التخلق بمساوئ الأخلاق ، ورذائل الصفات ، فكانت جميع الكتب المنزلة من عند الله ترشد وتدعو إلى حسن الخلق من الرحمة والإنصاف والصبر والصدق والرفق والحلم والأناة والتلطف مع العباد ، وما من نبي ولا رسول من عند الله إلا كانت السماحة ملازمة لدعوته ومعاملته

للناس ، ولقد حظيت الشريعة المحمدية من ذلك بأوفر الحظ ، فحثت عليها أي السماحة في مصادرها وعمل بها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

ولأهمية هذا الموضوع أتقدم بهذه الرسالة (الماجستير) التي هي بعنوان [**سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين**] ، وفي هذه الرسالة أحثُّ أهل الإسلام العودة إلى دينهم الحق ، والتخلق بالأخلاق الحميدة الذي دعا إليها دينها القويم والتأسي بنبيهم الكريم ﷺ وبما كان عليه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين الذين هم خير القرون كما أخبر بذلك النبي محمد ﷺ بقوله : « **خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** ... » [(١)] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١ / ٢٩٠ / مع الفتح) برقم ٦٤٢٩ كتاب / الرقائق ، ومسلم في صحيحه (٨ / ٣٢٤ مع النووي) برقم ٢٥٣٣ ، كتاب / فضائل الصحابة ، باب / فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

الفصل التمهيدي

وحـــدة الدين السمـــاوي

إن الإسلام يأمر أهله بالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وينهاهم عن التفريق فيما بينهم ، قال الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وأوصى الإسلام بالشرائع السماوية السابقة خيراً؛بل ويؤكد ويرسخ في المسلمين ضرورة الإيمان بها .

والإسلام بمعناه العام :

هو دين جميع الأنبياء والرسل،قال الله ـ تعالى ـ عن قول عيسى عليه السلام لقومه :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾ [آل عمران:٥٢] ، وأخبر تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ [النمل: ٤٤] ، وقال تعالى في مدح أنبياء بني إسرائيل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [المائدة :٤٤] .

اختلاف الشريعة في الأديان :

يتضح مما تقدم من الأدلة القرآنية أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحدة واحدة في دعوتهم وفي دينهم وإن اختلفت شرائعهم ، قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، فدعوتهم جميعاً واحدة هي توحيد الله وعبادته

وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [هود: ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٦١] ، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [هود: ٨٤]،وقال الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [العنكبوت :١٦] .

فالقرآن الكريم يبين وحدة العقيدة ، وهي عقيدة التوحيد الخالص لله ـ سبحانه وتعالى ـ ووحدة الدين الذي جاء به الرسل ـ عليهم السلام ـ وهو الدين الإسلامي .

الإسلام بالمعنى الخاص : هو ما جاء به محمد ﷺ .

الإسلام خاتم الدين الموحد وناسخ الشرائع :

اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه ورسوله محمد ﷺ حيث بعثه برسالة عالمية عمومية للناس كافة ، فقد كان الرسل من قبله يُبعثون إلى قومهم خاصة ، وبُعث محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ للثقلين الإنس والجن جميعًا . ودليل ذلك من القرآن الكريم ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ : ٢٨] ، وقال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة :٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] .

أما من السُّنَّة: فقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أُمتي أدركته الصلاة فَلْيُصَلِّ، وأحلّت لي الغنائم، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثْتُ إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة** »(١).

وختم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالرسالة المحمدية جميع الرسالات السابقة بقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن السُّنَّة قوله ﷺ : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة من الزاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** »(٢).

وقوله ﷺ : « **والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار** »(٣).

وجاء ـ عليه الصلاة والسلام ـ برسالة ناسخة لجميع ما قبلها من الشرائع والملل، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام بالمعنى الخاص، فقد أكمله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً، فلا يقبل من أحد دين سواه، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨٥]، أي فمن سلك طريقاً سوى ما شرع الله فلن يُقبل منه(٤)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١ / ٥٤٤ / الفتح) برقم ٣٣٥ و ٤٣٨ و ٣١٢٢ كتاب/ التيمم، ومسلم (٣ / ٥ / النووي) برقم ٥٢١ كتاب / المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦ / ٦٧٩ / الفتح) برقم ٣٥٣٤ و ٣٥٣٥ كتاب/ المناقب، باب / خاتم النبيين، ومسلم (٨ / ٥٦ / النووي) برقم ٢٢٨٦، كتاب / الفضائل، باب / ذكر كونه النبي ﷺ خاتم النبيين.

(٣) انظر: صحيح مسلم (١ / ٤٦٤ / النووي) برقم ٢٤٠، كتاب/ الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٦٧) دار الفكر.

إلاَّ من بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾ [آل عمران: ١٩] ،وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ومعنى الإسلام في هذه الآيات: هو ما جاء به ﷺ بدليل قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

ومن السُّنَّة قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **بُني الإسلام على خمس ، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...** »[١] .

ومن خصائص بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه القرآن الكريم ، وهو خاتمها وأعظمها وأكملها ، وناسخاً لها ؛ حيث جمع الله تعالى له فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ؛ فهو شاهد وأمين وحاكم عليها[٢] .

وقد أكد القران الكريم ما لحق بالكتب السماوية السابقة من التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان ، فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام أصبحت أكثر من مائة نسخة وكل واحدة تختلف عن الأخرى ، وكذلك الإنجيل التي أنزلت على عيسى ـ عليه السلام ـ فحالها مثل التوراة .

ودليل ذلك من القرآن الكريم على ما لحق الكتب السماوية السابقة من التبديل والتحريف قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦] ، وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [البقرة : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١ / ٦٣ / الفتح) برقم ٨ كتاب /الإيمان ، باب / دعاؤكم إيمانكم ، ومسلم في صحيحه (١ / ٢٠٩ / النووي) برقم ١٩ ، وأحمد في مسنده (٨ / ٢٠١) برقم ٦٠١٥ .

(٢) قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] ، انظر : اوجز التفاسير لابن كثير لهذه الآية .

قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١] ،وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران :٧٨].

ومن السُّنَّة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ حين أتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : إنا نسمع أحاديثًا من يهود تعجبنا ،أفترى أن نكتب بعضها ، فقال : **أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيًّا ، ما وسعه إلا اتباعي** (١) .

وقوله : (**متهوكون**) أي متحيرون أنتم في الإسلام ، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى .

وقوله: (**بيضاء نقية**) أراد بذلك الملة (٢) .

(١) حديث حسن أخرجه البغوي في شرح السُّنَّة (١ / ٢٧٠) وأحمد في المسند ٣/٣٨٧ ، فهرس أحاديث مسند الألباني ، دار الكتب العملية ، بيروت ط / الأولى ١٩٨٥م.

(٢) **انظر** : شرح السُّنَّة للبغوي (١ / ٢٧١) .

obeikandl.com